

العتبة العلوية المقدسة

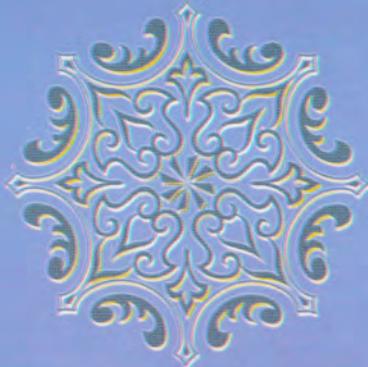
سلسلة في رحاب نهج البلاغة (١٠)

صلى الله
عليه وآله

مبادئ الرسول الأعظم

في نهج البلاغة

التي هي في



النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٢ م

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة - ١٠

سيرة

السَّوَالِ الْأَعْظَمِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَامِعِ

فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

السَّيِّدِ هُشَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فِي



النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٢

للكتب المصرية

سيرة الرسول الأعظم ﷺ في نهج البلاغة

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ المؤلف: السيد هاشم الميلاني

■ إخراج فني: نصير شكر

■ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

■ السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني :

info@haydarya.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

في النبوة

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١).

إن النبوة سلسلة هداية ربانية، وشعلة نورانية أنارت درب البشرية، منذ أن سكن الإنسان هذه المعمورة، وستستمر إلى نهاية المطاف على يد أمناء وأوصياء خاتم النبوة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ حُجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ قِلَّةٌ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَدِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاؤُ» (٢).

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

سبب الحاجة إلى الأنبياء:

لقديماً ما سمعنا شبهة منكري النبوة من أنّ النبي يوافق العقل فلا فائدة فيه ولا حاجة إليه، وإما يأتي بما يخفجب رده، وعليه لا حاجة للأنبياء.

وفي الجواب نقول:

١- أنّ العقل لا يتمكن أن يحيط علماً بجميع الأمور، عمل محدود، بالإضافة إلى أنّ ضوء العقل قد يخبو بسبب الذنوب وسيطرة الأهواء، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام **عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَى أَمِيرٍ** (١).

وفي كتابه عليه السلام إلى شريح القاضي لما اشترى داراً بثما وعظه الإمام بموعظة بليغة جاء في آخرها: «شَهَدَ عَلَى ذَلِكَ خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا» (٢).

إذاً العقل لوحده - ومن دون استعانة بالوحي - لا سلوك طريق الهداية للمخاطر التي تحيط به، حتى لو سلّمنا ما جاء به الوحي وصل إليه العقل وأدركه قبله، فحينئذ يـ الوحي مؤكداً للدليل العقل وهذا لا ضير فيه.

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٠١.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٣.

٢- إنَّ اللهَ تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، وهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (١)، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا» (٣).

فعدم العبثية في الخلقة، ولزوم المعرفة والعبادة، تقتضي وصول أوامر الخالق ونواهيه إلى الناس، وهذا لا يتحقق إلا عبر الأنبياء والرسل، بعد عجز الإنسان عن الاتصال المباشر بالخالق، وكذلك بال مخلوقات الغيبية كالملائكة.

٣- إتمام الحجة وتعليم العباد، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لِمَا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذِنُوا مِنْهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْبِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرْوَهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ: مِنْ

(١) ص: ٢٧.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٥.

سَقَفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمَهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ تَقْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَخْدَاتٍ تَتَابِعُ عَلَيْهِمْ»^(١).

وقال عليه السلام أيضاً: «وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ [أَيَّ آدَمَ عليه السلام] . وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبِضَهُ بِمَا يُوكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ، وَيَدَّ وَبَيِّنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ! وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْنَا فَقَرْنَا»^(٢).

وقال عليه السلام: «بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْأَعْيَانِ فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ»^(٣).

صعوبة الامتحان:

إنَّ الله سبحانه وتعالى بعث أنبياءه، وطلب من عباده والأخذ بقولهم، مع ما خصَّ الأنبياء بصفات روحانية عظيمة وقد امتاز الأنبياء أيضاً بالفقر وقلة ذات اليد عدا حكمة ربانية دقيقة، وهي أن يكون الإيمان بالله خالصاً لولا لا يشوبه طمع أو خوف دنيوي كما هو الحال في الاستسها

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٩٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٤.

وبهذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما يذكر استهزاء فرعون بموسى وهارون لما دخلا عليه بمدارح الصوف، فاستحقرهما وقال: هلا ألقى عليها اساورة من ذهب، وهنا يقول الإمام عليه السلام:

«وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الدُّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَعَارِسَ الْحِنَانِ، وَأَنْ يَخْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أَوْلَى قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَتِهِمْ، مَعَ فَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنَى، وَخَصَاصَةَ تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى. وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تَمُدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرَّجَالِ، وَتُسَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرَّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْاِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْاِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَنُوتُوا عَنْ رَهْبَةِ قَاهِرَةِ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةِ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النَّيَاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُفْتَسَمَةً. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْحُشُوعُ لَوَجْهِهِ، وَالْاِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالْاِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالْاِخْتِيَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ

أَجْرَلُ» (١).

وفي خطبة أخرى يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى زهد ب
وفقرهم ويقول: «وَإِنْ شِئْتَ تَنَيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ إِذِ يَقُو
لِمَا أَنْزَلَتْ إِلَيْهِ مِنَ خَيْرٍ فَقِيرٌ» وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خَبْرًا يَأْكُلُهُ، لِأَنَّ
بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ
هُرَّالِهِ وَتَشْدُبِ لَحْمِهِ. وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَاحِبِ
وَقَارِي أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِ
لِحْسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْنَهُمَا، وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ
شِئْتَ قُلْتُ فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ
وَبَلْبَسُ الْحَشَنِ، وَيَأْكُلُ الْجَسْبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجَوْزُ
بِاللَّيْلِ الْقَمَرِ، وَظِلَالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَ
وَرِيحَانُهُ مَا تَنَيْتُ الْأَرْضَ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ
يَحْزَنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يَذُلُّهُ، ذَابَتْهُ رِجَالُهُ، وَخَادِمُهُ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٠.

- ١ -

المولد النبوي

هو أبو القاسم محمد ﷺ، بن عبد الله، بن عبد المطلب شيبه الحمد، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن نضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان من نسل إسماعيل النبي ﷺ.

وقد وُلد ﷺ في (١٧) ربيع الأول - على المشهور عند الشيعة - عند طلوع الفجر من يوم الجمعة في العام الذي جاؤوا بالفيل لتخريب الكعبة المعظمة، وكانت ولادته في داره المباركة بمكة، وهذه الدار هي التي وهبها النبي ﷺ فيها بعد لعقيل بن أبي طالب، فباعها أولاده لمحمد بن يوسف أخ الحجاج فأدخلها في داره، فلما كانت خلافة هارون أخذتها الخيزران أمه فأخرجتها من بيت محمد بن يوسف وجعلتها مسجداً يصلي فيه الناس، وفي سنة (٦٥٩هـ) سعى الملك

المظفر - والي اليمن - في عمارته، وبقيت هذه الدار إلى زماننا
بيت الله تعالى، وسلمت من التهديم الوهابي بعد جعلها مك
وحصلت عند ولادته ﷺ حوادث مهمّة، من ق
جميع الأصنام على وجوهها، ارتعاش إيوان كسرى، وس
عشر شرفة منه، وقد غاضت أيضاً بحيرة ساوة، وف
الساوة، وخمدت نيران فارس ولم تحمد قبل ذلك بألف ع
سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك محزو
يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة^(١).

أما بالنسبة إلى آباء النبي ﷺ فقد أجمعت الشيعة
جميعاً، قال الشيخ المفيد رحمه الله: «آباء النبي ﷺ إلى
موحدين على الإيمان بالله وعليه إجماع عصابة الحق، قال
«الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ* وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ»^(٢) يريد
أصلاب الموحدين. وقال نبيه ﷺ: «ما زلت أتقل م
الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني الله تعالى في ع
فدل على أن آباءه كلهم كانوا مؤمنين، إذ لو كان فيهم كافر
الوصف بالطهارة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾

(١) راجع الأماي للصدوق: ٢٣٥، البحار ١٥: ٢٥٧.

(٢) الشعراء: ٢١٨، ٢١٩.

(٣) التوبة: ٢٨.

على الكفار بالنجاسة، فلما قضى رسول الله ﷺ بطهارة آبائه كلهم
ووصفهم بذلك، دلّ على أنهم كانوا مؤمنين»^(١).

وبهذا الصدد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَأَسْتَوِدَعُهُمْ فِي أَفْضَلِ
مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخْتُهُمْ^(٢) كَرَائِمِ الْأَصْلَابِ إِلَى
مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلْفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلْفٌ،
حَتَّى أَفْضَتْ كِرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ
أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِبْتًا، وَأَعَزَّ الْأَرْوَمَاتِ مَغْرَسًا، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ
مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءُهُ»^(٣).

وقال عليه السلام: «مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنِبْتُهُ أَشْرَفُ مَنِبْتٍ، فِي
مَعَادِنِ الْكِرَامَةِ وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ»^(٤).

وقال عليه السلام: «كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ
يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ»^(٥).

(١) تصحيح الاعتقاد للمفيد: ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) تناسختهم: تناقلتهم، كنسخت الكتاب واستنسخته: نقلت ما فيه.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٥.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٤.

- ٢ - البعثة النبوية

ألف - حال الناس قبل البعثة:

تسمى الفترة التي مرت قبل المبعث النبوي ﷺ الجاهلية، وذلك لانعدام الفضيلة والجهل المعرفي السائد المجتمع العربي، بل في العالم كله كما قال أمير المؤمنين علياً الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مَلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتَّةٌ. اللَّهُ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَادِ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ» (١).

ولو تتبعنا نهج البلاغة لرأينا ان أمير المؤمنين علياً يه الناس قبل المبعث النبوي ﷺ بالصفات والسمات التالية:

١- الفترة: والمراد منها فترة انقطاع النبوة فيما بين عب ورسول الله ﷺ حيث طالت لعدة قرون وفيها يقول أمير المؤ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

«أرسله على حين فترّة من الرُّسل، وتنازع من الألسن، فقفى به الرُّسل، وختّم به الوحي»^(١) وقال عليه السلام: «أرسله على حين فترّة من الرُّسل، وطول هجعة من الأمم، وانتفاض من المُبرم»^(٢) وقال عليه السلام: «أرسله على حين فترّة من الرُّسل، وهفوة عن العمل، وغباوة من الأمم»^(٣).

٢- اندراس الدين: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله بعث محمداً ﷺ... وأنتم معشر العرب على شرّ دين»^(٤) وقال عليه السلام أيضاً: «أرسله وأعلام الهدى دارسة، ومناهج الدين طامسة»^(٥) وقال عليه السلام: «والناس في فتنٍ انجذم فيها حبل الدين،.... خذل الإيمان فأنهارت دعائمها، وتكرت معالمه، ودرست سبله، وعفت شوكه»^(٦).

٣- المعصية: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عصي الرحمن، ونصر الشيطان»^(٧)، وقال عليه السلام: «والآثام بكم معصوبة»^(٨) وهذه المعاصي الكثيرة التي أصبحت معصوبة بهم أدت إلى عمى قلوبهم لذا

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٥.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٨) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

وَيُمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ»^(١).

٨- نفسي الجهل: قال عليّ: «بِأَرْضِ عَالِمِهَا مُلْجَ مُكْرَمٍ»^(٢).

وقال عليّ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ كِتَابًا، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً»^(٣)، ونحوه أيضاً: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدَّ وَحِيًّا»^(٤)، وقال عليّ: «بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ.. الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهْلَاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبِلَاءٍ مِنَ الْ

وقال عليّ: «أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ الْعَالِيَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّوْا وَيَسْتَدِلُّوْنَ الْحَكِيمَ، يَحْيُونَ عَلَى فِتْرَةٍ، وَيُمُوتُونَ عَلَى كَفْرٍ وَهُوَ يَحِثُّ عَلَى التَّالْفِ: «وَلَا تَكُونُوا كَجَفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ:

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٣.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٤.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥١.

بمفهوم، ولا عن الله يعقلون»^(١).

٩- البيئة الخسنة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِيرِ الْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيحُونَ بَيْنَ حِجَارَةِ حُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدْرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ»^(٢).

١٠- العدا والحقد: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ»^(٣) وقال عليه السلام: «فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلْفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، بَعَدَ الْعَدَاوَةَ الْوَاغِرَةَ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةَ فِي الْقُلُوبِ»^(٤) وقال عليه السلام: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازَعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ»^(٥).

ب- البعثة:

كانت العناية الربانية محيطة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ صباه، فقد «قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣٠.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٣.

الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ» (١).

ويشرح لنا أمير المؤمنين عليه السلام مشاهدته لبدء نزول البعثة ويقول: «وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءِ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمِيذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَسْمُومُ وَوَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ عليه السلام يَارَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنْكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ وَلَكِنْ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ» (٢).

ثم يشرح عليه السلام الأسباب التي دعت إلى البعثة ويقول: بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِإِنجَازِ عِدَّتِهِ وَمَأْخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ» (٣). وقال عليه السلام: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرَى الْعَمَلِ الْمَشْهُورِ، وَالْعِلْمِ الْمَأْثُورِ، وَالكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّوْبِ وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةَ لِلشُّبُهَاتِ،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

السِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالآيَاتِ، وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ»^(١).

وقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّزْوِيلِ»^(٢)، وقال عليه السلام: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُدْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نَذْرِهِ»^(٣).

وقال عليه السلام: «وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّةَ أَرْمَانًا، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيهَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ»^(٤).

وقال عليه السلام: «وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَيَذْكُرُهُ نَاطِقًا»^(٥).

وقال عليه السلام: «أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ»^(٦).
وقال عليه السلام: «فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ مَبَادِئِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٥.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٩.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٥.

وَلِيُنَبِّئُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ» (١).

وقال عليه السلام: «ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَالْبُرَّةِ
وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ الْهَادِي» (٢).

وقال عليه السلام: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُ
الرَّضِيِّ صلى الله عليه وآله أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَاحِ
الْمَنْهَجِ» (٣).

وقال عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا
لِلْعَالَمِينَ، وَمُهَيْمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ» (٤).

ج - تبليغ الرسالة:

لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله: بما أرسل إليه وأمر به، و.
في تبليغ الرسالة السماوية الملقاة على عاتقه، وهذا ما ذكره
عليه السلام قائلاً: «فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَبَلَّغَهُمْ
فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ» (٥).
وقال عليه السلام: «اللَّهُمَّ دَاجِي الْمَذْحُوتَاتِ ... اجْعَلْ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥.

(٤) نهج البلاغة، الكتاب: ٦٢.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٣.

سلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك... كما حمل
 لما ضلّ، قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكلٍ عن قدم، ولا
 واهٍ في عزم، وإعياً لوخيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتى
 أوزى قيس القابسي، وأضاء الطريق للخابط، وهديت به القلوب
 بعد حوضات الفتن، وأقام بموضحات الأعلام، ونيرات
 الأحكام»^(١).

وقال عليّ: «بإلحاح عليّ في النصيحة، ومضى على الطريقة، ودعا
 إلى الحكمة والموعظة»^(٢).

وقال عليّ: «أرسله بأمره صادقاً، وبذكره ناطقاً، فأدى أميناً،
 ومضى رشيداً»^(٣).

وقال عليّ: «فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى
 منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم، يحسر الحسير، ويقف
 الكسير، فيقيم عليه حتى يلحقه غايته، إلا هالكاً لا خير فيه، حتى
 أراهم منجاتهم، وبوأهم محلتهم، فاستدارت رحاهم، واستقامت
 قناتهم»^(٤).

وقال عليّ: «بلغ عن ربه مُعذراً، ونصح لأمته مُنذراً، ودعا إلى

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٩.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٣.

السَّجَنَةِ مُبَشِّرًا، وَخَوْفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا»^(١).

وقال عليّ: «فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَاِنٍ وَلَا مُقَصِّ

اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَدِّرٍ، إِمَامٌ مِّنْ أَتَقَى، وَبَصْرٌ مِّنْ

وقال عليّ: «فَدَعَاهُمْ بِلسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْ-

وقال عليّ: «وَقَبَضَ نَبِيَّهُ ﷺ وَقَدْ فَرَعَ إِلَى الْحَا

الْمُهْدَى بِهِ»^(٤).

وقال عليّ: «فَبَلَّغَ الرَّسَالََةَ صَادِعًا بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى ا

عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَ

مَتِينَةً، وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٣.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥.

- ٣ -

الهجرة النبوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلَا بِهَا نَزْرُهُ، وَامْتَدَّتْ مِنْهَا صَوْتُهُ» (١).

يشير أمير المؤمنين عليه السلام في هذا النص الشريف إلى أن ولادة النبي صلى الله عليه وآله كانت بمكة - وقد مضى -

ثم يشير عليه السلام إلى مسألة الهجرة النبوية، حيث هاجر صلى الله عليه وآله إلى المدينة وأسس الدولة الإسلامية، ومنها انتشر الإسلام وامتد إلى جميع أنحاء العالم.

أما الأحداث التي سبقت الهجرة، فكثيرة لم ترد الإشارة إليها في نهج البلاغة إلا إلى حادثة الحصار في الشعب، حيث قال عليه السلام في كتابه إلى معاوية: «فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهَمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنْعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْحَوْفَ،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٦.

واضطربونا إلى جبلٍ وعِريٍّ، وأوقدوا لنا نارَ الحَرْبِ، فَعَدَّ
 الذَّبَّ عَن حَوْزَتِهِ، والرَّمِيَّ مِن وِزَاءِ حُرْمَتِهِ، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي
 وَكَافِرُنَا يُجَامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلُوْا
 بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَارٍ
 وذلك بعد ما يأسى قريش من إخضاع النبي
 واستمر هو بالدعوة، صمّموا على قتله، فلما بلغ ذلك أمر
 بني هاشم وبني عبدالمطلب ودخلوا الشعب، واجتمع
 عبدالمطلب، سواء كانوا مسلمين أو كفاراً على نصر
 وتحلّف عنهم أبو لهب. والمراد بالمؤمن في كلامه عليه السلام
 أبوطالب وحمة وهو عليه السلام وغيرهم ممن أسلم، والمراد
 العباس، وعقيل وطالب ونوفل بن الحارث، والحارث
 الحارث وغيرهم ممن التحق بالشعب نصرة للقوم والعن
 آمن بعد.

ويصف أميرالمؤمنين عليه السلام مدى الشدة التي لاقوه
 البقاء في الشعب، وهي كانت حقاً فترة عصيبة، وك
 لا يتمكنون من بيع شيء لهم لأن قريشاً حدّرت من ذلك
 باع إليهم شيئاً.

وطال حصار الشعب ثلاث سنوات عجاف إلى

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٩.

١٥١. الأرضة على الصحيفة التي كتبها للتشديد على بني هاشم
 وأموها في البيت، فأكلتها سوى البسملة، فلما أخبرهم أبو طالب
 فكّوا الحصار، ولكن بقوا على إيذاء المسلمين سيما بعد وفاة أبي
 طالب ناصر النبي ﷺ وأم المؤمنين خديجة سلام الله عليهما، مما اضطر
 ﷺ من الذهاب إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، ولكن لم
 ينجب له أحد وطرده من هناك، وبقي ﷺ هكذا إلى أن اجتمع
 من شخفاً من قبائل العرب وصمّموا على قتل النبي ﷺ، فأخبر
 الله تعالى نبيه بذلك، وأمره أن يخرج من مكة ويبيت علياً مكانه، ففعل
 ما أمر به من مكر المشركين، وفداه علياً بنفسه وفي ذلك نزل قوله
 إلى: ﴿وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رُؤُفٌ
 الْعَالِمِينَ﴾ (١) ووصل النبي ﷺ إلى المدينة حيث كان مبتدأ السنة الهجرية
 تأسيس الدولة الإسلامية.

(١) البقرة: ٢٠٧.

- ٤ -

السنة النبوية

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوا مِنْهُ بِقَدَرٍ مِمَّا بَدَلْنَا إِلَيْكُمُ الْيَوْمَ الْحَاقِقَ الَّذِي كُنتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١)، وذلك لأن السنة النبوية هي الطريق الأحكام الشرعية، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَنْزَرَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَرْمَانًا حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِ، وَنَوَاهِيهِ وَأَوَامِرِهِ» (٢).

وقد أمرنا الله تعالى أيضاً بالرد إليه وإلى الرسول، وفي أمير المؤمنين عليه السلام في محاججته مع الخوارج: «قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْ وَرُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ» (٣).

(١) الحشر: ٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٥.

وكذلك كتب عليّ في عهده لملك الأشر: «واردُذْ إِلَى اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبُهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِزْشَادَهُمْ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
 وَالرَّسُولِ» فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ
 بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ» (١).

وقال عليّ أيضاً: «وَأَنعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ
 الْأُمِّيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا حِيصَ عَنْهُ، وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى
 غَيْرِهِ، وَدَعَهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ» (٢).

وأخيراً كرّر عليّ ضرورة الأخذ بالسنة في وصيته قبيل
 استشهاده حيث قال: «أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَمُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ
 فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ
 الْمِصْبَاحَيْنِ» (٣).

وجاء هذا الاهتمام وهذا التأكيد لأجل انحصار الطريق في
 السنة كما قلنا وقد قال أمير المؤمنين عليّ في وصيته للإمام الحسن عليّ:
 «وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُبْنِ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب ١٥٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٩، وكذلك الكتاب ٢٣.

الرَّسُولَ ﷺ، فَارْضَ بِهِ رَائِدًا، وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا» (١) و
لأنَّ «سُنَّتَهُ ﷺ الرَّشْدُ» (٢).

ثم بموازات الحث على الاهتمام بالسنة، يحذر أمير المؤمنين
من تعطيل السنة والاتجاه نحو البدع، فإن في ذلك هلاك الأ
الأمر يتوجه إلى الحكام في البداية لأن يدهم زمام الأمور
يُخَافُ وَيُرْهَبُ، فَقَدْ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّا
أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالِدَّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَ
الْمُسْلِمِينَ... الْمُعْطَلُ لِلْسُنَّةِ فِيْهِلِكَ الْأُمَّةُ» (٣).

وفي نص آخر يشير عليه السلام إلى أهمية دور الحكام في الح
السنة النبوية، ويجعل المقيم للسنة من أفضل عباد الله، والمم
شَرَّ النَّاسِ وَيَقُولُ: «فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَا
وَهْدَى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ
أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِ
ضَلَّ وَضَلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَاخُودَةً وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً» (٤).

وقال عليه السلام: «وَمَا أَحْدِثْتُ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكْتُ بِهَا سُنَّةً، فَانْقُرْ

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣١.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٤.

وَالرِّزْمُوا الْمَهْبِيعَ»^(١)، وعندها تكون الفوضى وظهور الفتن كما أشار عليه السلام: «وَأَخَذُوا بِالْبِدْعِ دُونَ السُّنَنِ»^(٢) ويستمر الأمر هكذا إلى ظهور صاحب العصر والزمان عليه السلام حيث «يُجِئِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»^(٣).

وهناك أمر آخر حذر منه أمير المؤمنين عليه السلام ألا وهو السنة المكذوبة أو الكذب على رسول الله ﷺ في زمانه وبعد زمانه، أما بالنسبة إلى الأول فقد قال عليه السلام: «وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيْبًا فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٤).

وأما بالنسبة إلى الثاني قال عليه السلام: «وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَحَقُّ مِنْ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(٥).

والنجاة من هذه الفوضى في الرجوع إلى العترة الطاهرة، إذ أنهم أمناء الله على وحيه، وهم مستودع السنة النبوية، ففي عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر يقول: «وَاعْلَمَ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٨.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٠.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧.

لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فو
الله، ومنها كُتَابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَ
الْإِنْصَافِ وَالرَّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْحِزْبِ وَالخَرَاجِ مِنْ أَهْ
وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَّ
مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِينِ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ
عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةٌ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَخْفُوفًا

فهنا أشار عليّاً إلى جميع أصناف المجتمع وما عليهم و
انّ الله تعالى بيّن أحكام الجميع في الكتاب والسنة وهما
عنده عليّاً، وهذا ما أكده الإمام الصادق عليّاً بقوله: «
لصحيفة طولها سبعون ذراعاً إملاء رسول الله ﷺ وخط
بيده، ما من حلال ولا حرام إلا وهو فيها حتى أرش الخدش»
وقال أمير المؤمنين عليّاً أيضاً: «فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ وَ
فَأَنْتُمْ بِهِ وَاسْتَضِيءَ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا
الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمِّمَةِ الْهُدَى أَذْ
عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ» (٣).

وهذا أي الرجوع إلى العترة لمعرفة السنة هو الوجه الص

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.

(٢) البحار: ٢٦، ٢٢، ح ١٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٠.

الجمع بين حديث كتاب الله وعترتي المتواتر، وحديث كتاب الله وستي - لو سُلم صحته -.

وهذا ما ذهب إليه ابن حجر في الصواعق المحرقة أيضاً حيث قال: «والحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة»^(١).

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام يذكر في حديث جميل حال الناس في تعاملهم مع الحديث النبوي ويقول: «إِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةٌ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ حَامِسٌ: رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ، لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أُمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالنُّبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ الأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ المُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ فَهَذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ.

وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَوَهُمَ فِيهِ

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ٢: ٤٣٩، الآية الرابعة في فضائل أهل البيت عليهم السلام.

وَمِ يَتَعَمَدُ حِدْبًا، تَهْوِي يَدِيهِ وَيُرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَهْوُونَ. انا سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهُمْ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْ
عِلْمٍ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفْضِهِ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ إِذَا
عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا
فَحَفِظَ الْمَنْسُوحَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوحٌ لَرَفَضَا
عِلْمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوحٌ لَرَفُضُوهُ.

وَأَخْرَجَ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ مُبْغِضٌ لِلَّهِ
خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَهْمُ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ
وَجْهَهُ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ
النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوحَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْ
وَالْعَامَّ وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ:
خَاصٌّ وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ
عَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ
وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيَجِبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَ
وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلُهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِمَنْ ذَلِكَ
سَأَلَتْهُ عَنْهُ وَحَفِظَتْهُ، فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَ

فِي رِوَايَاتِهِمْ»^(١).

ومما يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام الاهتمام بدراية الحديث ومعرفة فقهاء، فقد قال عليه السلام: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل»^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «إن أمرنا صعب مستصعب، لا يجمله إلا عبء مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينه وأحلام رزينة»^(٣) مما يعطي تصور عن أهمية الدراية وفهم مراد المعصوم.

وقال عليه السلام في وصف العترة الطاهرة: «عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل»^(٤).

وكشاهد على ذلك فقد سئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود» فقال عليه السلام: «إتما قال صلى الله عليه وآله ذلك والدين قُلْ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه، وصرب بجرانه، فأمرؤ وما اختار»^(٥)، مما يدل على لزوم فهم النص مع لحظ ملابساته الزمانية والمكانية.

والخلاصة أن سنة النبي صلى الله عليه وآله المتمثلة في قوله وفعله وتقريره،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٠.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٩.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٣٧.

(٥) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٣.

يجب الاهتمام بها والأخذ بها، وعليه يتم التمسك بالنبى ﷺ
الولاية إذ «إِنَّ وَدِّيَ مُحَمَّدٍ مِّنْ أَطَاعِ اللَّهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ، وَ
مُحَمَّدٍ مِّنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرَبَتْ قَرَابَتُهُ» (١).

وأخيراً قال عليّؑ: «فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ، ﷺ
أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَى وَعِزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّ
وَالْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ... فَتَأَسَى مُتَأَسِّ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ
وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلِمًا لِلسَّاعَةِ،
بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا بِالعُقُوبَةِ» (٢).

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٩٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٠.

الأوصاف النبوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحةً للشبهات، واحتجاجاً بالبيئات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات»^(١).

وقال عليه السلام وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وآله ويشرح صفاته: «اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبّو، والفتاح لما انغلق، والمعلمين الحق بالحق، والدافع جيشات الأباطيل، والدافع صولات الأضاليل، كما حمل فاضطلع، قائماً بأمرك، مستوفزاً في مرضاتك، غير ناكل عن قدم، ولا واه في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتى أورى قبس القابس، وأضاء الطريق للحابط، وهديت به القلوب

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢.

بَعْدَ حَوْصَاتِ الْفِتَنِ، وَالْآثَامِ وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ
الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونُ،
يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ» (١).

وقال عليه السلام: «قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْنِدَةُ الْأَبْرَارِ، وَتُنِيَتْ إِلَيْهِ أَرْمَةُ
دَفَنَ اللَّهِ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ النَّوَاتِرَ، أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ
أَعْرَبَهُ الذَّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ» (٢).

وقال عليه السلام: «خَيْرَ السَّرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً
الْمُطَهَّرِينَ شِيَمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً» (٣).

وقال عليه السلام: «أَمِينٌ وَحِيَهُ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ وَبَشِيرٌ رَحْمَةً
نِقْمَتِهِ» (٤).

وقال عليه السلام: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُبْدِيُّ
خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَمَدُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصَّصُ بِعَقَائِلِ
وَالْمُصْطَفَى لِكِرَائِمِ رِسَالَتِهِ، وَالْمُوضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ
وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرِيبُ الْعَمَى» (٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٨.

وقال عليه السلام: «تَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاصَّ إِلَى رِضْوَانِ
 اللَّهِ كُلِّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ عُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَدْنُونَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ
 الْأَقْصُونَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْتَتَهَا، وَصَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ
 رَوَاجِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عِدَاوَتَهَا، مِنْ أْبَعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ
 الْمَزَارِ»^(١).

وقال عليه السلام: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ
 رَحْمَتِهِ»^(٢).

وقال عليه السلام: «جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعًا
 لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرَفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ»^(٣).

وقال عليه السلام: «أُرْسِلُهُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الْأَصْطِفَاءِ، فَرْتَقَ بِهِ
 الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ
 الْحَزُونََ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينِ وَسِمَالِ»^(٤).

وقال عليه السلام: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ، كَلِمًا
 نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمَ فِيهِ عَاهِرٌ، وَلَا
 صَرَبٌ»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٨.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٣.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٤.

ومن أوصافه صلى الله عليه وآله أيضاً أنه كان أماناً من الع
 أمير المؤمنين عليه السلام: «كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
 أَحَدُهُمَا فِدْوَتُكُمْ الْآخَرَ فْتَمَسَّكُوا بِهِ، أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ أ
 اللَّهُ صلى الله عليه وآله، وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالاسْتِغْفَارُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (١).

ومنها الشجاعة، قال عليه السلام: «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَى
 اللَّهُ صلى الله عليه وآله فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِّنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ» (٢).

ومنها الزهد، قال عليه السلام: «قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا،
 وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَّاهَا عَنْهُ اخْتِياراً وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ
 فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ
 زِينَتَهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، أَوْ يَرْجُو فِيهَا مَقَاماً»
 وقال عليه السلام: «فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّ
 لِمَنْ تَأَسَّى، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَتِّ
 وَالْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، وَلَمْ يُعْرِها طَرْفاً، أَهْ
 الدُّنْيَا كَشْحاً، وَأَخْصَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا
 يَقْبَلُهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئاً

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨٣.

(٢) غريب الكلام الذي يحتاج إلى التفسير: ٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٨.

وَصَغَرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،
وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ وَمُحَادَّةً عَنِ أَمْرِ اللَّهِ.

وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ،
وَيُخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقُعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ،
وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّرُّ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ،
فَيَقُولُ: يَا فَلَانَةُ - لِاحْدَى أَرْوَاجِهِ - عَيْبِي عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ
ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ
نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، وَلَا
يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مُقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا
عَنِ الْقَلْبِ، وَعَيْبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ
يُنْظَرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا
وَعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وَرُؤِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ
زُلْفَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللَّهِ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ، فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ
فَقَدْ كَذَبَ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ بِالْإِنْفِكِ الْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
قَدْ أَهَانَ عَيْرُهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ.

فَتَأْسَى مُتَأَسِّسٌ بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلَجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ
الْهَالِكَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِلْمًا لِلْسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ،
وَمُنْدِرًا بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَمِيصًا، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ

حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَيْلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَ
 اللَّهُ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلْفًا نَتَّبِعُهُ، وَقَائِدًا نَطَّأُ عَقِبَهُ
 رَفَعْتُمْ مِذْرَهَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُمْ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ
 تَنْبِذُهَا عَنْكَ، فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ اللَّهَ
 وَمِنْهَا أَفْضَلِيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 مُحَمَّدًا عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولَهُ وَسَيِّدَ عِبَادِهِ» (٢).

ومنها لزوم تكريم كل ما ينسب إليه، وكشاهد على ذلك
 علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أولاد فاطمة الزهراء عَلَيْهِنَّ السَّلَامُ للقيام بوصاياه إكراماً له
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وَأَيُّ إِتْمَانٍ جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِي
 ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ، وَفُرْتَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ
 لَوْضَلْتِهِ» (٣).

ومنها استجابة الدعاء ببركة الصلاة والسلام عليه، قال
 «إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَاتُهُ حَاجَةٌ، فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ
 إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى» (٤).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٤.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٤.

(٤) نهج البلاغة، فصار الحكم: ٣٥١.

ومنها مظلوميته ﷺ وشدة ابتلائه، قال عليّ: «فَأَرَادَ قَوْمَنَا قَتَلَ
نَبِينَا، وَاجْتِيَا حَاصِلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَمَعُونَا
الْعَذَبَ، وَأَخْلَسُونَا الْخَوْفَ»^(١)، واضطربونا إلى جبلٍ وعرٍ، وأوقدوا
لنا نارَ الحَرْبِ»^(٢).

وقال عليّ: «فَدَعَّ عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجَوَّاهُمُ
فِي الشَّقَاقِ، وَجَمَّاحَهُمْ فِي التَّيِّهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِ كِجْمَاعِهِمْ
عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٣).

(١) أي جعلوا الخوف ملازماً لنا كجلس التعبير يلازم ظهره، وهو كساء، يجعل تحت
الرحل.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٩.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ٣٦.

- ٦ -

المعجز النبوية

تُعدّ المعجزة الدليل الواضح لقمع شبهات المعاندين،
قلوب الموالين لإثبات صدق مدعي النبوة وتمييزه عن غيره،
جاء بمعجزة أو معجز مختلفة بما يناسب ظرف زمانه،
نبينا ﷺ، فقد صدرت عنه معجز كثيرة ربما تفوق معجزا
الأنبياء، وقد عدّها ابن شهر آشوب أربعة آلاف وأربعمائة
معجزة، ذكرت منها ثلاثة آلاف (١).

ويمكن تقسيم هذه المعجز في عدّة أنواع:

النوع الأول: ما صدر في الأجرام السماوية كشق القمر
والشمس، وتضليل الغمام، ونزول المطر والأطعمة والفواكه مر
عليه وغيرها.

النوع الثاني: معجزاته في الجمادات والنباتات كسلام

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٤٤.

والمدر عليه، وتسييح الحجر بيده، وانقلاب الجذع سيفاً لعكاشة في بدر، ولعبد الله بن جحشي في أحد وغيرها.

النوع الثالث: معجزاته في الحيوانات، كتكلم عجل آل ذريع وحثّ الناس على نبوته، وتكلم الذئب والإبل والشاة المسمومة وغيرها.

النوع الرابع: معجزاته في إحياء الموتى وشفاء المرضى، ومعجزات أعضائه الشريفة كذهاب وجع عين علي عليه السلام ببركة بصاقه الشريف، وإحياء الطيبي الذي أكل من لحمه، وتكلم فاطمة بنت أسد سلام الله عليها معه في القبر، وغيرها.

النوع الخامس: معجزاته في كفاية شرّ الأعداء، كهلاك المستهزئين، وأكل الأسد عتبة بن أبي لهب، وغيرها.

النوع السادس: معجزاته في استيلائه على الجن والشياطين، وإيمان بعض الجن به.

النوع السابع: معجزاته في إخباره بالمغيّبات، وهي كثيرة^(١). وقد وردت الإشارة إلى معجزة واحدة في نهج البلاغة، وهي مجيء الشجرة إليه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا آتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ

(١) راجع منتهى الآمال للشيخ عباس القمي، ج ١، فصل معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَرِيْسٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدْعِهِ أَبَاؤُكَ وَ
 مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلَيْهِ
 نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، فَقَالَ ﷺ
 تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقَ
 يَدَيْكَ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكَ
 اتُّمُونُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأْرِي
 تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيثُونَ إِلَيَّ خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يَه
 الْقَلْبِ وَمَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ
 الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكَ حَتَّى تَقْفِي بِيَدِي
 بِإِذْنِ اللَّهِ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَهَذَا
 شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ
 ﷺ مُرْفَرَفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُضْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ
 أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ﷺ.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا: فَمُرْهَا فَ
 نِصْفُهَا، وَيَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمْرُهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ
 وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوءًا
 هَذَا النَّصْفُ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ ﷺ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ بَانَ الدُّ

فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوتِكَ وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ، فَقَالَ
الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ
يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْغُونَنِي»^(١).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

الغزوات

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ
الْخَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُو
يَعْلَمُهُمْ﴾^(١)، وانتصاراً للدعوة الفتية التي بشر الله تعالى بأبتها
ظاهرة على سائر الشرائع في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢)، خاض النبي
معارك مع المشركين جاوزت الثلاثين غزوة وسرية.

واشترك أكثر المسلمين في هذه الغزوات بكل بسالة وشجاعة
ذباباً عن دين الله ودفاعاً عن رسوله ﷺ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام
وصف تلك الأيام: «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ
إِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا
لِللِّقْمِ»^(٣)، وصبراً على مَضَضِ الْأَمِّ، وجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَلَقَدْ
الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخِرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوِلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَا

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) التوبة: ٣٣.

(٣) لقم الطريق: الجادة الواضحة منها.

أَنْفُسَهُمَا أَيُّهَا يَنْقِي صَاحِبَهُ كَأَسِّ الْمُنُونِ، فَمَرَّةٌ لَنَا مِنْ عَدُونًا وَمَرَّةٌ لِعَدُونًا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُونَا الْكِبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ»^(١).

ولم ترد الإشارة في نهج البلاغة إلا إلى غزوة بدر وأحد وسرية مؤتة، وذلك فيما كتب عليه السلام إلى معاوية: «فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخًا»^(٢) يَوْمَ بَدْرٍ»^(٣).

أما غزوة أحد فيذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في محادثة جميلة مع النبي ﷺ يظهر منها تشوقه وتلهفه عليه السلام للشهادة، حيث يقول: «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِيَزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ لِي: أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ، فَقَالَ لِي: إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ»^(٤). وأما بالنسبة إلى سرية مؤتة فيقول عليه السلام في كتابه إلى معاوية: «فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْرَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُؤْتَةَ»^(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٥٥.

(٢) الشدخ: كسر الشيء الأجوف.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ١٠ و ٦٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦.

(٥) نهج البلاغة: الكتاب: ٩.

- ٨ -

السيرة النبوية

لقد كثرت الدراسات والكتب المؤلفة عن سير الأعمظم ﷺ ولم يبق جانب من جوانب حياته الطاهرة إلا الضوء عليه بكتاب أو مقال أو دراسة، وما زالت حياته الكريمة فياضاً للمزيد من هذه الدراسات.

وقد وردت الإشارة إلى جملة من سيرة النبي ﷺ في كتب البلاغة بصورة مختصرة، إذ إن هذا الكتاب لم يؤلف كدراسة بل كان الهدف من تأليفه وجمعه تسليط الضوء على أمير المؤمنين عليه السلام، ومع هذا فقد وردت الإشارة إلى فصول من سيرة النبي ﷺ مضي بعضها وسنذكر بعضها الآخر.

ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في احتجاجه على الخوارج إن النبي أقام الحدود على مستحقيها فقال: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَجِمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَثَهُ أَهْلُهُ، وَقَتَلَ أُمَّةً وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلُهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ، وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ

لَسْمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفِيءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ، فَأَخَذَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذُنُوبِهِمْ وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ»^(١).

وَبَيْنَ عَلِيٍّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِالْوَسْطِيَّةِ وَقَالَ: «فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ»^(٢)، حَيْثُ يَبِينُ أَنَّ الْإِعْتِدَالَ فِي الْأُمُورِ كَانَ دَأْبَهُ وَدِيدَنَهُ.

وَقَالَ عَلِيٌّ فِي بَيَانِ مَكَافَحَتِهِ ﷺ لِلظُّلْمِ وَالضَّلَالِ: «أُرْسِلْتُ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الْأَضْطِفَاءِ، فَرْتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونََ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينِ وَسَمَالِ»^(٣).

وَبَيْنَ عَلِيٍّ أَيْضاً سِيرَةَ النَّبِيِّ ﷺ الْحَرْبِيَّةِ حَيْثُ لَمْ تَبْتِنِ عَلَى التَّغْلِبِ وَالتَّسَلُّطِ بَلْ كَانَتْ لِنَجَاةِ الْإِنْسَانِ مِنَ الضَّلَالِ: «فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزَلَ بِهِمْ، بِحَسْرِ الْحَسِيرِ، وَيَقِفُ الْكَسِيرِ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتِهِمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رِحَابُهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاثَتُهُمْ»^(٤).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٣.

ومرّ انه ﷺ حين اشتداد الحرب كان أقرب الناس إلى ا
وكذلك كان ﷺ يقدم أهله وعشيرته حين اشتداد الحرب، قال
«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ، وَ أَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَهُ
فَوْقِي بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ
بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ
ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنَّ أَجَاهُمْ عُدُو
وَمَنْيَتُهُ أُجَلَّتْ» (١).

ولذا شرفهم الله تعالى وأعلى ذكرهم كما قال ﷺ في كتاب
معاوية: «أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْرِجٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحَدْتُ، أَنْ
اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَلِكُلِّ فَ
حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدَانَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ
بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ، أَوْ لَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلِّ فَضْلٍ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ
الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ» (٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٩.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٨٠.

الصحابة

مما لا شك فيه ان الصحابة الكرام تحمّلوا الكثير لأجل إعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دينه، كما كتب أمير المؤمنين معاوية: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ اضْطِفَاءُ اللَّهِ مُحَمَّدًا ﷺ لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدُهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ حَبَّأْنَا لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَيْبِنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ»^(١)، فهو عليه السلام يؤيد موقف الصحابة رضوان الله عليهم في نصره الدين.

وفي كتاب آخر لمعاوية يقول عليه السلام: «وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكِ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ فَتَامُهُمْ، مُتَسَرِّبِلِينَ سَرَائِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَحِبْتَهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةً، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٨.

نصاها في اخيك وخالك وجدك واهلك، وما هي من ا
ببعيد» (١).

ويعرض عليه بمعاوية ويمدح المهاجرين الأولين ويقول
أدخل الله العرب في دينه أفواجا، وأسلمت له هذه الأمة
وكرها، كُتُم مَن دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينِ فَا
السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ» (٢).

ويشرح عليه موقف الصحابة في التضحية والدفاع عن الإ
ويقول: «فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى
وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانَ وَالْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا
وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيًّا لِلْأَمْرِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ»
وقريب منه قال عليه في خطبة أخرى: «وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ

ﷺ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا
وَتَسْلِيًّا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلْمِ، وَجِدًّا فِي
الْعُدُوِّ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخِرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوِلَانِ تَه
الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ السَّمُونِ،
لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِهِ

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٨.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ١٧.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢١.

الْكِبْكَبَةِ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَصَبِيئًا
أَوْطَانَهُ» (١).

وقال عليه السلام في مدح الأنصار: «هُمْ وَاللَّهِ رَبُّوهُ الْإِسْلَامَ كَمَا يَرِي
الْفُلُوقَ» (٢) مَعَ غَنَائِهِمْ، بِأَيْدِيهِمُ السَّبَاطِ (٣) وَالْأَسِيهِمُ السَّلَاطِ (٤)» (٥).

وقال عليه السلام أيضاً في وصف تعبد بعض الصحابة رضوان الله
عليهم: «لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَمَا أَرَى أَحَدًا يُسْبِهُهُمْ عِنْتَكُمْ،
لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ سُعْنًا غُبْرًا، وَقَدْ بَاتُوا سُجْدًا وَقِيَامًا، يُرَاحُونَ بَيْنَ
جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَحْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ
بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ
أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْلُ جُيُوبِهِمْ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ
الْعَاصِفِ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ» (٦).

وقال عليه السلام: «أَيُّنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا
الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهَيَّجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّهُوا وَلَهُ اللَّقَاحُ إِلَى
أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا، وَالْأَخْدُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْمًا

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٥٥.

(٢) الفلوق: ولد الفرس.

(٣) السباط: يقال رجل سبط اليمين أي سخي.

(٤) جمع سليل وهو الشديد وذو اللسان الطويل.

(٥) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٥٣.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٦.

زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا، لا يُشرون بالأخية
يُعززون عن الموتى، مژه العيون من البكاء، حُصص البطم
الصيام، ذبل الشفاء من الدعاء، صفر الألوان من السهر
وجوههم غبرة الحاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أد
إليهم، ونعص الأيدي على فراقهم» (١).

ويتلهف عليه في مكان آخر ويقول: «أين إخواني
رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضُوا عَلَى الْحَقِّ، أَيْنَ عَمَّارٌ، وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ،
ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الدِّ
وَأُبْرَدَ بَرُّهُ وَسِهِمُ إِلَى الْفَجْرَةِ» ثم ضرب بيده إلى لحيته فأطال البكا
قال: «أَوْهَ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْه
فَأَقَامُوهُ، أَحْيَاؤُا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَه
بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ» (٢).

طبعاً هذا لا يعني ان جميع الصحابة كانوا على هذه الحالة لا
كانوا يتفاوتون في المراتب المعنوية كتفاوتهم في العلم والمعرفة والنه
والشجاعة، فالأوصاف التي مرّت على لسان أمير المؤمنين عليه السلام لم
عامة لجميعهم أولاً، ولم تعطهم صفة العصمة من الخطأ والذنب ثا
بل تشملهم ما داموا على الطريق، وهذا كقوله تعالى في وص

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٢.

الصحابة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سَاجِدًا يُتَعَوَّنُ فَضَّلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضوانًا سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجَبُ الزُّرَّاعَ لَيَغِيظَنَّ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

فالمغفرة والأجر العظيم لا يعم جميعهم، بل يشمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم فقط، وما داموا على هذه الحالة، إذ إن النبي ﷺ أخبر أمير المؤمنين علياً أن أمته سيفتنون بعده، قال علياً: «لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: «أَلَمْ * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي... يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِيَدِيهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ وَيَأْمُنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْحَمْرَ بِالْبَيْدِ، وَالشُّحْتَ بِالْهَدْيَةِ، وَالرِّبَا بِالسَّبْعِ» (٢).

ويقول علياً في مكان آخر: «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَعَالَتَهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ،

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦.

وَوَصَلُوا عَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمُرُوا بِمَوَدَّتِهِ
السِّبَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَادِنُ كُلِّ
وَأَبْوَابُ كُلِّ صَارِبٍ فِي عَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي
عَلَى سُنَّتِهِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِبِينَ، أَوْ مُفَارِ
مُبَايِنٍ»^(١).

وهؤلاء هم الذين دَسَّسوا وجه التاريخ أمثال عمرو بن
الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى ذَا
يُؤْتِيَهُ أُتَيْتَهُ، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً»^(٢).

وأمثال معاوية الذي قال فيه عليه السلام: «فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ ذَا
الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذُهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى
وَالدَّمِ»^(٣)، وقال عليه السلام أيضاً: «إِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّبِيهِ، رَوَّاعٌ
الْقَصْدِ»^(٥) وقال عليه السلام: «فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ
نَفْسِكَ قَدْ أَوْلَجْتِكَ شَرًّا، وَأَفْحَمْتِكَ غِيًّا، وَأَوْرَدْتِكَ أَلَمًا
وَأَوْعَرْتِ عَيْنَكَ الْمَسَالِكَ»^(٦).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٣.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ١٠.

(٤) الرواغ: الميال.

(٥) نهج البلاغة، الكتاب: ٢٨.

(٦) نهج البلاغة، الكتاب: ٣٠.

وكذلك غيرهما ممن افتتن بالدنيا وأغترّ بها، فهؤلاء سيحاسبون
على أعمالهم، ولم يشملهم الوعد الإلهي بالمغفرة والرضوان، وعليه
لا يمكن الحكم على جميعهم بالعدالة والصلاح الصالح، فمن غير
وبدل وأحدث ولم يتب لا طريق له للنجاة وسيزاد عن الصراط كما في
حديث الحوض الوارد في الصحاح الدال على رجوع بعض الصحابة
القهقري بحيث لا تشملهم شفاعة النبي ﷺ.

الخاتمية

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِ رَسُولِ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (١).

انَّ مسألة ختم النبوة بنبينا ﷺ أمر ثابت بالنص الواقِع، وهذا ممَّا لا شك فيه.

وقد ذكر العلماء أوجه متعددة لتفسير الخاتمية من قبـ الأديان السابقة كانت تتطرق للتحريف والتبديل مما كان يستلـ نبي آخر لتصحيح ما حُرِّف، ولكن بالنسبة إلى الإسلام فالله تعا بحفظه من التغيير والتحريف بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ لِحَافِظُونَ﴾ (٢) فبقاء الدين من غير تحريف أحد أسباب ختم النبـ ومنها انَّ النبوات تتكامل، وكان آخر نبي أكملهم، إذ كـ

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) الحجر: ٩.

«الخاتم من ختم المراتب بأسرها» ولم يبق في عالم الملكوت أمر لم يتم تبليغه، وكان آخر ما أمر به النبي ﷺ تبليغ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام حفاظاً واستمراراً للنبوّة الخاتمة، ولما تم التبليغ نزلت آية إكمال الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

ومنها وصول الإنسان إلى البلوغ المعرفي بعقله واجتهاده، فهنا يأتي دور العلماء بعد الأئمة للقيام بوظائفهم في نشر الدعوة وهداية الأمة.

ومنها أنّ التقدير الإلهي شاء أن تكون هذه الأمة هي الأمة الوسطى والشاهدة على سائر الأمم، بمعنى أنّها - مع التمسك بالثقلين: القرآن والعترّة - ستكون ميزاناً لتصحيح الأخطاء والسير نحو الكمال من دون حاجة إلى تجديد النبوات.

وعلى كل حال، فالأقوال في تفسير مسألة الخاتمية كثيرة، والعمدة هو النص الإلهي على ذلك، والباقي تفسير وتبيين وجه ذلك ربما تخطأ وربما تصيب، وفيما يلي نسرد ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في مسألة الخاتمية:

قال عليه السلام: «إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَنْجَازِ عِدَّتِهِ وَإِتْمَامِ بُرُوتِهِ»^(٢).

(١) المائدة: ٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

وقال عليه السلام: «اللَّهُمَّ... اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيهِ
عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ»^(١).

وقال عليه السلام: «بَلَّ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ... حَتَّى تَمَّ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَّتَهُ»^(٢).

وقال عليه السلام: «أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ...
الْوَحْيِ»^(٣).

وقال عليه السلام: «أَمِينٌ وَخِيهِ، وَخَاتَمٌ رُسُلِهِ»^(٤).

ثم بين عليه السلام انّ الإسلام هو الدين الخاتم وقال: «دُ
الإسلام دينُ الله الَّذِي اضْطَفَأَهُ لِنَفْسِهِ، وَاضْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ
خَيْرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَّ
بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكِرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّثِيهِ بِنَصْرِهِ، وَهَانَ
الضَّلَالَةَ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتَقَّ
بِمَوَانِحِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَ
لَأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لَشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِصَافَ
وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَدَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا صَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣٣.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.

لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لِيَوْضِحِهِ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ،
وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحِلَاوَتِهِ، فَهُوَ دَعَائِمٌ
أَسَاحَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ عَزَّرَتْ عُيُونَهَا،
وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا
فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلُ رَوَى بِهَا وُرَادُهَا. جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ،
وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ
الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النَّيْرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ
الْمَنَارِ، مُعَوِّذُ الْمَثَارِ، فَشَرَّفُوهُ وَاتَّبَعُوهُ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ
مَوَاضِعَهُ».

وقال عليه السلام: «فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِقْوَتُهُ،
وَتَنْفَصِمَ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمَ كِبَوْتُهُ، وَيَكُنْ مَابَهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ
وَالْعَذَابِ الْوَيْلِ»^(١).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦١.

- ١١ -

المصيبة العظمى

ذهب أكثر علماء الشيعة إلى أنّ وفاة رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر صفر، وذهب أكثر أهل إلى أنّها كانت في الثاني والعشرين من ربيع الأول.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِهَا فَقبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً»^(١).

ومما لا إشكال فيه عندنا أنّ رسول الله ﷺ توفي في دار علي عليه السلام وفي ذلك يقول: «ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن رأ صدري، ولقد سألت نفسه في كفي، فأمرزتها على وجهي»^(٢). وقال عليه السلام أيضاً: «فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاد

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٧.

نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسِكَ» (١).

ويؤيد هذا ما ورد عن عائشة أمها قالت لامرأتين سألتها عن علي عليه السلام: «أي شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله صلى الله عليه وآله موضعاً فسالت نفسه في يده، فمسح بها وجهه» (٢).

وفي الحديث الصحيح عن أم سلمة أمها قالت: «والذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله عدنا رسول الله غداً وهو يقول: جاء علي، جاء علي؟ مراراً، فقالت فاطمة: كأنك يعثته في حاجة، قالت: فجاء بعد، قالت أم سلمة: فظننت أنّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يسارّه ويناجيه، ثم قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهداً» (٣).

وقيل لابن عباس: «أرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله توفيّ ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر عليّ، قلت: فإنّ عروة حدّثني عن عائشة أمها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: أتعقل هذا؟ والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه لمستند إلى صدر علي» (٤).

(١) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٢.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساکر ٤٢: ٣٩٤.

(٣) المستدرک للحاکم ٣: ١٣٩ وصححه.

(٤) الطبقات لابن سعد ٢: ٢٦٣.

وعن أبي رافع قال: «توفي رسول الله ﷺ ورأسه في ح
ابن أبي طالب...» (١).

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «قبض رسول الله ﷺ
في حجر علي» (٢).

وعن الشعبي قال: «توفي رسول الله ﷺ ورأسه في
علي» (٣).

فهذه الروايات وغيرها الواردة عن الصحابة والتابعي
بصراحة على أنّ الرسول الأكرم ﷺ توفي ورأسه في حجر علي
وعليه فلا قيمة لما رواه القوم عن لسان عائشة من أنّ النبي ﷺ
بين سحرها ونحرها، إذ أنّه لا يقاوم سائر الأخبار الصحيحة و
الموثقة التي تعارضه.

وأيضاً ممّا لا إشكال فيه ولا خلاف حوله أنّ أمير المؤمنين
هو الذي تولى غسل رسول الله ﷺ ، فقد قال عليه السلام: «وَلَقَدْ
غُسِّلَهُ ﷺ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ، مَلَأُ يَدِي
يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْمَةً مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَازَ
ضَرِيحَهُ» (٤).

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ١: ٢٩٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢: ٢٦٢.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٢٦٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٧.

فانظر إلى هذه المنقبة الشريفة، تتلو منقبة بدء الوحي حيث كان ﷺ يرى نور الوحي والرسالة، ويشمّ ريح النبوة، وقال له الرسول ﷺ: «أنت تسمع ما أسمع، وترى ما أرى» وسمع أيضاً رثة الشيطان، فياله من شرف عظيم.

وقد أثرت مصيبة رسول الله ﷺ على قلب أمير المؤمنين ﷺ أشدّ تأثير حتى أنّه ترك الخضاب، فقد قيل له: لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين، فقال ﷺ: «الْخِضَابُ زِينَةٌ، وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ» قال الشريف الرضي موضحاً: يريد برسول الله ﷺ (١).

وقال ﷺ عند تغسيل رسول الله ﷺ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبَوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى صُرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَجِمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءَ، وَلَوْ لَا أَنْتَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَأَنْفَذْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مِمَّا طَلَأَ، وَالْكَمَدُ مَخَالِفاً، وَقَلَّا لَكَ، وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمَكِّنُ رَدَّهُ وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ» (٢).

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٦١.

(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٤.

ما حدث بعد رحيله صلى الله عليه وآله

حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حوادث مؤلمة غيرت مسير
عن المخطط الإلهي الذي بلغه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد وردت الـ
في نهج البلاغة إلى بعضها، وهي كما يلي:

١- غصب الإمامة، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَلَمَّا مَضَى
تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي
يَخْطُرُ بِيَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ عَنِ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا
مُنْحُوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ» (١).

وقال عليه السلام في الخطبة الشقشقية: «أما والله لقد تَقَمَّصَهَا
وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي الـ
وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا تَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَـ
وَطَفِئْتُ أَرْتَبِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَدَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَـ

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٦٢.

بِهِمْ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَتَسَبَّبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى وَفِي الْحَلْقِ شَجَا»^(١).

وقال عليه السلام أيضاً: «فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنِ حَقِّي، مُسْتَأْتِراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبِضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا»^(٢).

٢- بثّ الدعايات ضد أمير المؤمنين عليه السلام لتشويه سمعته، قال

عليه السلام لما خاطبه العباس وأبو سفيان في أن يبايعاه بالخلافة لما قبض رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرَّجُوا عَنِ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تَيْجَانَ الْمُفَاخِرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحِ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ، هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَعْصُ بِهَا أَكْلُهَا، وَجُتْنِي الثَّمَرَةَ لِعَيْرٍ وَقَتِ إِيْنَاعِهَا كَالزَّرَارِعِ بَعَيْرِ أَرْضِهِ. فَإِنْ أَقْلَ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُثْلِكِ، وَإِنْ أَسْكُتَ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَاللَّهِ لَا بِنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْسَ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَجَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِاضْطِرَّتُمْ اضْطِرَابَ الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ»^(٣).

فجعلوه عليه السلام في موقف حرج بحيث لا يتمكن من السكوت

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٥.

ولا يتمكن من الكلام.

٣- افتتان الأمة، قال عليه السلام: «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُو
رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتَهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْ
وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ،
الْبِنَاءَ عَنِ رِصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَادِنُ كُلِّ
وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ، قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَبُ
السُّكَّرَةِ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَادٍ
مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ»^(١).

وقال عليه السلام: «لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: «أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسَ
يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَذُ
وَرَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ
أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي...
إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَدِينُ
رَحْمَتَهُ، وَيَأْمُونُ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَافِرَةِ
وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْ
وَالرَّبَا بِالسَّبْعِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أَنْزَلَهُ
ذَلِكَ، أَيْمَنْزِلَةَ رِدَّةٍ أَمْ بَيْمَنْزِلَةَ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ»^(٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٦.

٤- غضب فذك بدواعي سياسية لبست ثوب الدين - كما أشرنا إليه في سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة - وفي ذلك يقول عليه السلام: «بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَذِكُّ مَنْ كُلِّ مَا أَظْلَمَتُهُ السَّمَاءُ، فَسَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ» (١).

٥- استشهاد الزهراء عليها السلام، أن الحديث عن الزهراء عليها السلام ومظلوميتها وما جرى عليها بعد أبيها صلى الله عليه وآله ذو شجون، وحقيق بالإنسان الحرّ الذي أطلق عقله عن أسر التعصبات المذهبية، أن يأسف على أمة سرعان ما نست وصايا رسولها بحق ابنته وأهل بيته، بحيث تموت أم أبيها وحببية قلب المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام وهي في مقاطعة سياسية للسلطة الحاكمة آنذاك.

فقد ثبت في الصحيح أن فاطمة عليها السلام وجدت على أبي بكر فهجرته ولم تكلمه حتى توفيت (٢) كما سنين سببه لاحقاً.

فهل من المعقول أن أشرف قبيلة في قريش وهم بنو هاشم، وأشرف بيت في بني هاشم وهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله يقاطعون السلطة الفتية آنذاك، والتي يجب دعمها وتشيد مبانيها في تلك الظروف الحرجة، لا لشيء سوى الدنيا والصراع على المناصب، وهم هم في زهدهم وبعدهم عن الدنيا وزخارفها ونبذهم لها - كما هو ثابت عند

(١) نهج البلاغة، الكتاب: ٤٥.

(٢) صحيح البخاري ٥: ٨٢، وصحيح مسلم ٥: ١٥٤.

سريين - ساعده بحسب على السلطه وتقاطعها، وعلى يغضب
السلطة ولم يبايع وكذلك باقي البيوت الهاشمية، أليس هذا ينبو
شيء أخطر وأعمق مما يتصوره السدج من الناس. فانتظر فسبو
بيانه في مسألة الإمامة والنص.

ونحن يكفينا في إدانة القوم، واثبات مظلومية الزهراء عليها السلام
ذكرناه آنفاً من الثابت الصحيح عند أهل السنة من ع
الزهراء عليها السلام على القائمين بالأمر آنذاك، ونضيفك بياناً ما ور
إقدام عمر بن الخطاب على تهديد بيت الوحي بالإحراق وا
عليه، وذلك ما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة عن عم
الخطاب لما جاء بالحطب إلى دار فاطمة فقال: والذي نفس عمر
لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص اذ
فاطمة، فقال: وإن^(١).

وما رواه المنقري من كلام عمرو بن العاص لمعاوية لما من
عن جيش علي عليه السلام فنهاه عمرو وقال له: «وقد سمعته أنا وأنت
يقول له: «لو استمكنتُ من أربعين رجلاً» فذكر أمراً. يعني لو أنّ
أربعين رجلاً يوم فتش البيت، يعني بيت فاطمة^(٢).

ونقل الصفدي عن النظام - شيخ الجاحظ ومن كبار المعت

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٩.

(٢) وقعة صفين: ١٦٣.

انه كان يعون. ان عمر صرب بطن فاطمه حتى القت المحسن من
بطنها(١).

وأكد هذا ندم أبي بكر عند وفاته على بعض ما صنعه، منها
قوله: «وددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد أغلقوه
على حرب»(٢).

فهذه النصوص وغيرها تدلّ على الإقدام لإحراق البيت بجمع
الخطب، وتدلّ على تفتيش البيت والكشف عنه، وتدلّ على إسقاط
المحسن، ظلامه ما فوقها ظلامه.

وإشارة إلى هذه الظلمات قال أمير المؤمنين عليه السلام عند دفن
فاطمة الزهراء عليها السلام مخاطباً الرسول صلى الله عليه وآله: «السلام عليك يا رسول الله
عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، ... إنا لله
وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، أما
حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها
مقيم، وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها، فأخفها السؤال
واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر»(٣).

(١) الوافي بالوفيات ٦: ١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٣١، العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ٢٦٧.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٠٢.

مستقبل الدعوة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّهَ لِقَاءَهُ... فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صلى الله عليه وآله، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَمْمَهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بغيرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ»^(١).
يشير عليه السلام في هذا النص إلى سنة الله تعالى في الأنبياء من الاستخلاف حفاظاً على الدعوة الإلهية، سيما بالنسبة إلى خاتمه حيث سيكون دينه آخر الأديان، وستكون أمته شاهدة على الأمم، مما يؤكد ضرورة مسألة الاستخلاف.

نعتقد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أدّى ذلك تماماً، وعرفّ أنّ سيخلفه، سيما بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

(٢) المائدة: ٦٧.

فقام ﷺ بتبليغ الأمر في غدِير خُم عند منصرفه من حجة الوداع، ونزل قوله تعالى بعد هذا التبليغ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١).

إن الضمان الذي تركه رسول الله ﷺ لمستقبل الدعوة، إنما هو الثقلان: الكتاب، والعترة الطاهرة، كما هو مفاد حديث الثقلين الثابت والمتواتر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى القرآن: «وَحَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ فِي أُمَّهَا... كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنًّا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَرَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسَّرًا بِجَمَلِهِ، وَمُبَيَّنًّا غَوَامِضَهُ» (٢).

وقال عليه السلام بالنسبة إلى العترة: «فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ، يَبِينُكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وَهُمْ أَرْزَمَةُ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَالسِّنَةُ الصِّدْقِ، أَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ» (٣).

وقال عليه السلام: «انظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالزَّمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا نَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا

(١) المائة: ٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة، ١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٦.

تأبّدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسيقوهم فتضلوا، ولا تنأ
عنهم فتهلكوا»^(١).

وقال عليّ: «نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الوُسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي وَ
يَرْجِعُ الْغَالِي»^(٢).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٦.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٠٤.

إلى هنا تُنهي الكلام عن سيرة النبي الأعظم ﷺ طبقاً لما ورد في نهج
 البلاغة، ونصلي ونسلم عليه ونقول كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ
 لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ، واجْزِهِ مَضْعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ أَعْلِي عَلَى
 بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرَمِ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرَّفِ عِنْدَكَ مَنَزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَيْسِلَةَ،
 وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، واحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَائِبَا، وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا
 نَاكِبِينَ، وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ، وَلَا مُضِلِّينَ وَلَا مَقْتُونِينَ» (١).

وكما قال عليه السلام أيضاً:

«اللَّهُمَّ دَاحِي الْمَدْحُوحَاتِ وَدَاعِمِ الْمَسْمُوكَاتِ وَجَابِلِ الْقُلُوبِ
 عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيهَا وَسَعِيدِهَا. اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ عَلَى
 مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا انْتَلَقَ وَالْمُعَلِّينِ الْحَقِّ
 بِالْحَقِّ وَالِدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَالِدَّامِعِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ
 فَاضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِيلٍ عَنْ قُدَمٍ وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ
 وَاعِيًا لَوْحِيكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ
 الْقَاسِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْحَابِطِ وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ
 وَالْآثَامِ وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَبَرَاتِ الْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ
 وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَرَسُولُكَ
 إِلَى الْخَلْقِ».

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٠٥.

وتقول عقيب كل صلاة ما علمه الإمام الرضا عليه السلام لأبي
البنظري: «السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمة الله وبركاته،
عليك يا محمد بن عبدالله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا
الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك أمين الله، أشهد أنك
الله، وأشهد أنك محمد بن عبدالله، وأشهد أنك قد نصحت
وجاهدك في سبيل ربك، وعبدته حتى أتاك اليقين، فجزاك الله يا رب
أفضل ما جزى نبياً عن أمته، اللهم صل على محمد وآل محمد أو
صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(١).



(١) قرب الإسناد للحميري: ٣٨٢، البحار ٨٦: ٢٤.

المحتويات

٥	تمهيد: في النبوة
٦	سبب الحاجة إلى الأنبياء
٨	صعوبة الامتحان
١١	١- المولد النبوي
١٤	٢- البعثة النبوية
٢٥	٣- الهجرة النبوية
٢٨	٤- السنة النبوية
٣٧	٥- الأوصاف النبوية
٤٤	٦- المعاجز النبوية
٤٨	٧- الغزوات
٥٠	٨- السيرة النبوية

..... ٩- الصحابة

..... ١٠- الخاتمة

..... ١١- المصيبة العظمى

..... ١٢- ما حدث بعد رحيله ﷺ

..... ١٣- مستقبل الدعوة

..... المحتويات



